غطاء تابوت من الرخام لطفل بمتحف مكتبة الاسكندرية
نشر جديد

د. أمل عبد الصمد عبد المنعم حشاد
مدرس آثار يونانية ورومانية بقسم الآثار
كلية الآداب – جامعة طنطا

يدرس هذا البحث غطاء تابوت من الرخام من طراز "التماثيل الراقدة" وهو محفوظ حاليا بمتحف مكتبة الاسكندرية تحت رقم ٨٢٠ "لم ينشر سابقا" ، ويصور طفلا في وضع النوم ، ممثلا في هيئة مستوحاة من الطفل إيروس. وتأتي أهمية هذا الغطاء من كونه طراز فريد من نوعه في مصر حيث كانت أغطية التوابيت على الطراز الروماني تجسد أشخاصا بالغين راقدين أو متكئين في نصف جلسة ، أما غطاء التابوت "موضوع البحث" فيمثل طفلا وفي وضع النوم ، وكذلك طراز الرداء الذي يرتديه الطفل والصياغة الفنية ، كما جاء الوضع الحركي في رقود الطفل تشبها بالاله ايروس النائم ليضفي عليه كثيرا من التميز والتفرد بين مثل هذا النوع من أغطية التوابيت ، وترجع أهميته أيضا الى أنه عثر عليه في نجع الشيخ عامر بالأقصر – على الرغم من أنه طراز فريد من نوعه بعيدا عن الإسكندرية العاصمة السياسية والفنية لمصر خلال العصرين البطلمي والروماني. وسوف يتعرض هذا البحث لمحاولة تأريخ غطاء التابوت عن طريق تقنية العمل الفني وعقد بعض المقارنات مع أمثلة مشابهة.

هذا الأثر يمثل غطاء تابوت ويبدو من أبعاده (٢١ سم عرض × ٩٤ سم طول) أنه كان مصنوع أصلا لطفل ، حيث يرى فوق غطاء التابوت تمثال لطفل راقد على جانبه الأيسر (شكل ١) مرتديا خيتونا شفافا ذو كم قصير ومنفذ من أعلى عند رقبة الطفل بشكل حرف V (شكل ٢) وتبدو ثناياه واضحة على الجسم من الأمام وربما كان من قماش ناعم يلتصق بالجسم حتى أنه يظهر من أسفله ترهل بسيط عند البطن (شكل ٣) بما لا يتناسب مع تفاصيل جسم طفل ، ويرتدي فوقه الهيماتيون الطويل الذي يغطي الجزء السفلي من الجسم بداية من الخصر وحتى الأقدام ، ومن المفترض أنه كان يغطي الكتف الأيسر ولكن لأن الطفل يرفع الذراع الأيسر لأعلى لكي يسند عليه رأسه (كما في شكل ١ ، ٢ السابق ذكرهما) لذلك يلاحظ أن طرف الهيماتيون مفرود أسفل الذراع الأيسر ، وتبدو ثناياه سميكة وبارزة ثم غائرة على التوالي وتصل هذه الثنايا حتى القدمين (شكل ٤) وهي منفذة بعناية حيث تبدو أنها تتناسب مع حركة الساقين . ويلاحظ أن الساق الأيسر مثني تحت الساق الأيمن (شكل ٥) والأخيرة مرتفعة الى أعلى قليلا من عند الركبة . ولذلك تظهر قدم الساق الأيمن فقط من أسفل الهيماتيون والأصابع مفقودة (شكل ٦) . وتظهر براعة الفنان في التنفيذ حيث أنه إهتم بتفاصيل طيات الملابس من خلف الطفل أيضا (شكل ٧ ـ ٩) .

أما بالنسبة لذراعي الطفل فيلاحظ أن جزء من الذراع الأيمن مفقود من قبل الرسغ بقليل وحتى المعصم (شكل ١٠) وتظهر قبضة اليد مستندة على ما يبدو مقبض لغطاء التابوت ، ويبدو أن الفنان ربما لم يوفق في تنفيذ قبضة اليد حيث صممت من أربعة أصابع فقط بدلا من خمسة (شكل ١١) . أما الذراع الأيسر كما ذكرت سابقا - مرفوع لأعلى بحيث يسند الطفل رأسه عليه وتبدو هنا براعة ودقة الفنان في تنفيذ أصابع اليد اليسرى من أسفل الرأس (شكل ١٢ ،١٣) .

أما وجه الطفل (شكل ١٤،١٥) فهو دائري الشكل ويلاحظ أن جزء منه مشوه ويبدو أن تجويف العين منفذ بأسلوب غائر أكثر من اللازم ، كما قام الفنان بنحت إنسان العين ، والأنف أفطس ، والشفاه صغيرة ، والخدود ممتلئة .

ولقد نفذ الفنان الأذن اليمنى (شكل ١٦) بحالة غير جيدة ، أما الأذن اليسرى فتختفي خلف الرأس نتيجة لوضع الجسم . ومن الجدير بالذكر أن الفنان اهتم بتنفيذ شعر رأس الطفل فجاء في صورة تهشيرات غائرة تمثل خصلات متراصة فوق الرأس تصل حتى مقدمة الجبهة من الأمام كما يظهر الشعر أيضا خلف الرأس بنفس الصورة ويصل حتى أول الرقبة . والجبهة عريضة والرقبة من الأمام غير طويلة ومتضخمة (شكل ١٧) .

التعليق :

أولا : مكان اكتشاف غطاء التابوت – موضوع البحث – ربما يدعو الى التساؤل الآتي : هل كان يوجد في الأقصر ورشة لتصنيع التوابيت وبالتالي تم نقل المادة الخام – الرخام – هناك ثم تصنيعها ؟ أم أن التابوت بأكمله صنع في الاسكندرية ثم تم نقله بعد ذلك الى الأقصر؟ وغالبية الظن أن أهل الطفل المتوفى كانوا أثرياء فأرسلوا الى أحد فناني الاسكندرية قبل الوفاة بقليل ، وقام الفنان برسم ذلك العمل الفني وأخذه معه الى الاسكندرية للتنفيذ، ثم أرسله بعد ذلك الى الأقصر .

ثانيا : عثر على أكثر من تمثال لإيروس نائما من الرخام وبمواصفات قريبة نوعا من التمثال – موضوع البحث – وذلك من حيث أن الجزء العلوي من الجسم ينحني ناحية اليسار ورأسه تلتفت أيضا الى اليسار، وله وجنتان ممتلئتان ومثال على ذلك (شكل ١٨) [١] . حيث نفذ الفنان رداء الطفل مفرودا أسفله تشبها بأجنحة إيروس . كما تم تصوير الأطفال في العديد من الأعمال الفنية في الفن اليوناني القديم [٢] .

ثالثا : قبضة اليد اليمنى للطفل ربما لم يوفق الفنان في تنفيذها ، أو من المحتمل أنه كان يساعده فنان أخر أقل خبرة ، أو أن الطفل ربما لديه عيب خلقي في يده . حيث نفذ بتلك القبضة أربع أصابع فقط بدلا من خمسة (شكل ١١) أو أن يكون الإصبع الخامس مفقود . ولكن يرجح أن الطفل كان لديه عيب خلقي بدليل أن الإصبع الصغير ملتو بصورة غير طبيعية ، كما يتضح أن النسب التشريحية لتلك الأصابع غير متناسبة .

رابعا : يبدو لأول وهلة أنه هناك اختلاف في النسب التشريحية لكلا الذراعين ولكن اذا دققنا النظر نجد أن السبب وراء ذلك ربما يرجع الى أن وضع الذراع الأيسر وهو مرفوع لأعلى ومستند عليه رأس الطفل هو الذي يجعله يبدو أكثر سمكا (شكل ١٧) من

الذراع الأيمن ، كما أن وضع الجسم المائل ناحية اليسار هو الذي يجعل الذراع الأيمن يبدو أنه أكثر نحافة من الذراع الأيسر .

خامسا : تجويف العين منفذ بأسلوب غائر أكثر من اللازم وربما يرجع السبب وراء ذلك الى وضع الرقود الذي عليه الطفل .

سادسا : نفذت رأس الطفل بحجم كبير وغير متناسق مع أبعاد الجسم ، وكذلك الرقبة حيث ظهرت بصورة متضخمة ، وربما يدعو ذلك الى وجود احتمال أن هذا الطفل كان يعاني من وجود أحد الأورام في الرأس والرقبة وربما كان ذلك هو سبب الوفاة في هذا السن الصغير ، حيث ظهرت العديد من الأعمال الفنية التي توضح وجود تضخم سواء في الرقبة أو في الرأس نتيجة وجود بعض الأمراض ، وعلى سبيل المثال (شكل ١٩) ومحفوظ في المتحف اليونانى الرومانى تحت رقم ٢٥٨٣١ [١٦] .

سابعا: قام الفنان بنحت انسان العين على الرغم من كون الطفل في وضع الرقود والإستغراق في النوم ، وربما يدعوهذا الى التساؤل ، ومن المحتمل أن يكون تفسير ذلك هو أن الفنان قام بتنفيذ ذلك العمل الفني لحظة وفاة الطفل ، فعندما بدأت حالة الطفل تسوء بسبب مرضه وادركت أسرته انه لاسبيل للشفاء أرسلوا في طلب الفنان من الاسكندرية وعندما وصل الفنان الى الأقصر كان الطفل في مرحلة الإحتضار ، وعلى هذا يكون الطفل في اللحظات الأولى من الوفاة وليس مستغرقا في النوم ، وكدليل على ذلك فقد عثر على غطاء تابوت لطفل من خارج مصر(شكل ٢٠)[١٧] ويبدو فيها أن الطفل كان طبيعيا وليس به أورام أو عيوب خلقية ولذلك نفذه الفنان وهو مغمض العينين ،أي بعد وفاته ، ويرجع هذا العمل الفنى الى أواخر عصر أغسطس وأوائل عصر يوليوس – كلاوديوس أى الى القرن الأول الميلادى، ومحفوظ في المتحف القومى فى روما تحت رقم 80.2718 ، ويظهر الطفل راقدا على ظهره ومرتديا الهيماتيون الذي يغطي الجزء الأسفل من الجسم ، كما أن وضع الساقين مشابه للطفل – موضوع البحث. كما يوجد تابوت آخر من الرخام - كرارا - في المتحف البريطانى بلندن ويرجع الى أواخر القرن الثانى الميلادى ، وتبلغ أبعاده ٢٩ سم عرض × ٩٦ سم طول ، ومنفذ عليه منظر الوفاة لفتاة صغيرة السن راقدة على السرير وبجانبها والديها وأخيها وبعض الأشخاص الآخرين الحاضرين موقف الوفاة ، ويلاحظ أن هذه الفتاة راقدة على الجانب الأيسر ومغمضة العينين (شكل ٢١) [٧] .

ربما أن هذا التابوت الخاص بالفتاة الصغيرة والمثال السابق له المنفذ بشكل طفل راقد على ظهره يرجحان وجهة نظرى وهى أن الأطفال المنفذين فوق التوابيت تكون أعينهم مغلقة اذا كانت الوفاة طبيعية ، أما اذا كان الطفل لديه احدى العيوب الخلقية أو الأورام التى ربما تؤدى الى الوفاة – وهو غطاء التابوت موضوع البحث – ربما تنفذ العيون مفتوحة وذلك لتنفيذ لحظة الوفاة . والذي يدعم وجهة النظر هذه أيضا أنه عثر على العديد من أغطية التوابيت الأخرى التى تمثل أشخاصا بالغين ولكن منفذين في وضع

نصف جلسة – وليسوا راقدين – تكون أعينهم مفتوحة حيث ربما كان لديهم مزيد من الوقت لتنفيذ ذلك العمل الفني وهم مازالوا على قيد الحياة ، حيث عثر على مثال لذلك في مقابر Praetextatus في روما ، ويؤرخ بحوالى ٢٢٨ م ، ومنفذ عليه Balbinus وزوجته تنظر اليه (شكل ٢٢) ، كما عثر مثال آخر في متحف الكابيتول في روما عبارة عن تابوت من الرخام يرجع تاريخه الى عام ٢٥٠ م ومنفذ عليه تمثال نصفى لرجل بالمواجهة وبجواره سيدة على جانبها الأيسر وكلاهما مفتوحى الأعين (شكل ٢٣) [vi] . وعثر كذلك على تابوت آخر من الرخام تبلغ أبعاده ٤٧ سم عرض × ١٤١ سم طول ومنفذ عليه فتاة فى وضع نصف جلسة ، ويبدو من المنظر أن إنسان العين غير منحوت ولكن حدقة العين توضح أنها كانت مفتوحة (شكل٢٤) [vii] . وربما يوحى ذلك بأن الأشخاص البالغين المنفذين فوق التوابيت وفى وضع نصف جلسة كانوا فى أغلب الحالات – ان لم يكن جميعها – أعينهم مفتوحة ، وأن الأطفال المنفذين فى وضع الرقود التام فوق التوابيت ويبدو من تفاصيل الجسم أنهم كانوا أطفال طبيعيين ، تنفذ أعينهم وهى مغلقة ، فيما عدا تابوت الطفل – موضوع البحث – الذي يعتبر لذلك طرازاً نادراً من نوعه حيث نفذ الفنان أعين الطفل مفتوحة . وكما ذكرت سابقا ربما يرجع ذلك الى وجود عيوب خلقية وأورام فى جسم الطفل مما أعطى الفرصة لوالديه قبل الوفاة بفترة قصيرة الى استدعاء الفنان لتنفيذ ذلك العمل الفنى الهام جدا .

يلاحظ أن غالبية التوابيت في الإمبراطورية الرومانية كانت من الرخام وفي أحيان قليلة كانت من الحجر الجيري وقد إستخدم في ذلك أحجار من محاجر في أسيا الصغرى ، ومحاجر في بلاد اليونان وخاصة رخام Pentelikos ، وفي ايطاليا محاجر رخام Luna ، كما استخدم أيضا رخام كرارا Carrara . وكانت جميع توابيت الإمبراطورية تشترك في خاصية معينة وهي أن التوابيت كانت توضع إما في الهواء الطلق أو في حجرات الدفن [viii] .

لاشك أن هذه التوابيت كانت تصنع للأغنياء فقط فقد ظل الفقراء يدفنون في الأرض مباشرة حتى أن بعض العلماء يطلق على هذه التوابيت تعبير التوابيت ذات الهيئة الأرستقراطية وكانت هذه التوابيت تصنع للعائلات الثرية وتدلنا الزخارف والموضوعات المصورة على الحالة الإجتماعية للمتوفي وكذلك النقوش الموجودة على التوابيت.

ازدادت عملية الدفن في الظهور عن عملية الحرق في النصف الأول من القرن الأول الميلادي ، ثم ازدادت بشكل ملحوظ في القرن الثاني الميلادي ويمكن تأكيد ذلك من خلال المكتشفات الأثرية التي توضح أن التغيير الفعلي من عادة حرق الميت الي الدفن بدأ في عصر تيبريوس (١٤ – ٣٧ م) وزاد في عصر هادريان (١١٧ – ١٣٨ م) وأصبح عادة عامة في منتصف القرن الثالث الميلادي [ix] .

إن فكرة استخدام التوابيت في عملية الدفن هي فكرة موروثة عن الإتروسكيين ومعتقداتهم الجنائزية[x]. وكان الشائع في مثل هذا الطراز من أغطية التوابيت الرومانية تصوير المتوفي في وضع نصف جلسة ، وهذا الوضع المألوف في أغطية التوابيت الإتروسكية ، وخلال العصر الروماني وخاصة خلال العصر الإمبراطوري ، حيث ظهرت عدة أمثلة لأغطية توابيت تحمل تماثيل لأشخاص مضطجعين ، وهذه الأمثلة تتشابه مع غطاء التابوت – موضوع البحث – في وضع الرقود على الجانب الأيسر ، وارتداء نفس الملابس وهما الخيتون والهيماتيون ، كما أن الساق اليسرى مثنية أسفل الساق اليمنى (مع اختلاف بسيط في التنفيذ نتيجة لوضع الجزء العلوي من الجسم) والأخيرة مرفوعة لأعلى قليلا من عند الركبة. وهذه الأمثلة هي :

أولا : غطاء تابوت عثر عليه بالقرب من محطة قطار سيدي بشر بالإسكندرية (شكل ٢٥) ومصنوع من الرخام (تمثال المحمرة) . ويلاحظ هنا أن السيدة المتوفاة منفذة في وضع نصف جلسة على جانبها الأيسر وتسند ساعدها الأيسر على وسادة ، وهي مرتدية هنا الخيتون الشفاف الذي يظهر ملامح جسدها من أسفل الملابس وبه بعض الثنايا البسيطة كما أن له رباط من أسفل الصدر ومعقود من الأمام ، وترتدي السيدة فوقه الهيماتيون الطويل الذي يغطي الجزء الأسفل من الجسم والكتف الأيسر ، كما تظهر أيضا طيات الملابس من الخلف ، وقد تم تأريخ هذا المثال بأواخر القرن الثاني الميلادي[xi] .

ثانيا : غطاء تابوت عثر عليه في أبي قير شرقي الإسكندرية (شكل ٢٦) ومصنوع من الرخام ومحفوظ في المتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية تحت رقم ٣٨٩٧ . وهو عبارة عن تمثال لرجل راقد في وضع نصف جلسة على جانبه الأيسر ويستند بكوعه الأيسر على وسادة ، ممسكا في يده اليسرى كأس شراب وفي اليد اليمنى إكليل نباتي ، ومرتديا الخيتون والهيماتيون ، وقد تم تأريخ هذا المثال بالقرن الثاني الميلادي[xii] .

ثالثا : غطاء تابوت من البهنسا (في مدينة أوكسير نخوس) ومصنوع من الرخام الأبيض ، ومحفوظ في المتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية ، وهو بدون رأس (شكل ٢٧) ويلاحظ أن هذه السيدة مضطجعة على جانبها الأيسر وممسكة في يدها اليمنى باقة من الزهور ، ومرتدية الخيتون وفوقه الهيماتيون الطويل ، وارخ أيضا بالقرن الثاني الميلادي[xiii] .

رابعا : غطاء تابوت لكاهنة من أوكسير نخوس (البهنسا) وهو مصنوع من الرخام ولها نفس الجلسة والملابس ووضع الساقين وتم تأريخه بالقرن الثاني الميلادي[xiv] .

خامسا : عثر في مارينا بالإسكندرية على مجموعة مقابر (ومنها) تأريخ على شكل أعمدة ، تم إكتشاف الموقع عام ١٩٨٧[xv] (شكل ٢٨ ـ ٣١) ، ومن بينها المقبرة الموضحة في الشكل السابق حيث وجد في الجزء العلوي منها تجويف يبدو من أعلى بشكل الجمالون وبداخله تابوت يرقد فوقه جثمان لشخص ولكن ربما يكون لسيدة بالغة وليس طفلا ، وهى في وضع الرقود ، وترجع هذه المقابر الى القرن الأول والثاني الميلادي .

التأريخ :

يلاحظ أن مثل هذا الطراز لأغطية التوابيت شاع إستخدامه في روما والولايات الشرقية خلال القرن الثاني الميلادي وبداية القرن الثالث الميلادي[xvi] . ونظرا لأن غالبية الأمثلة التي عرضت للمقارنة تم تأريخها بالقرن الثاني الميلادي ، ولأن طراز الملابس وهما الخيتون والهيماتيون يرجعان الى نفس التأريخ تقريبا ، وكذلك أسلوب نحت انسان العين في تمثال الطفل (موضوع البحث) يرجع الى القرن الثاني الميلادي ، لذلك يرجح تأريخ هذا التمثال بالقرن الثاني الميلادي .

شكل (١)

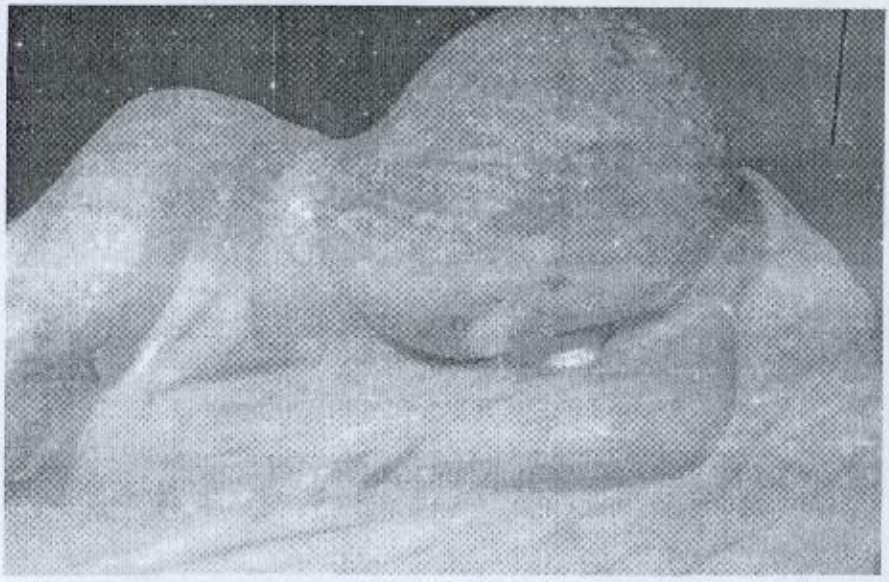

شكل (٢)

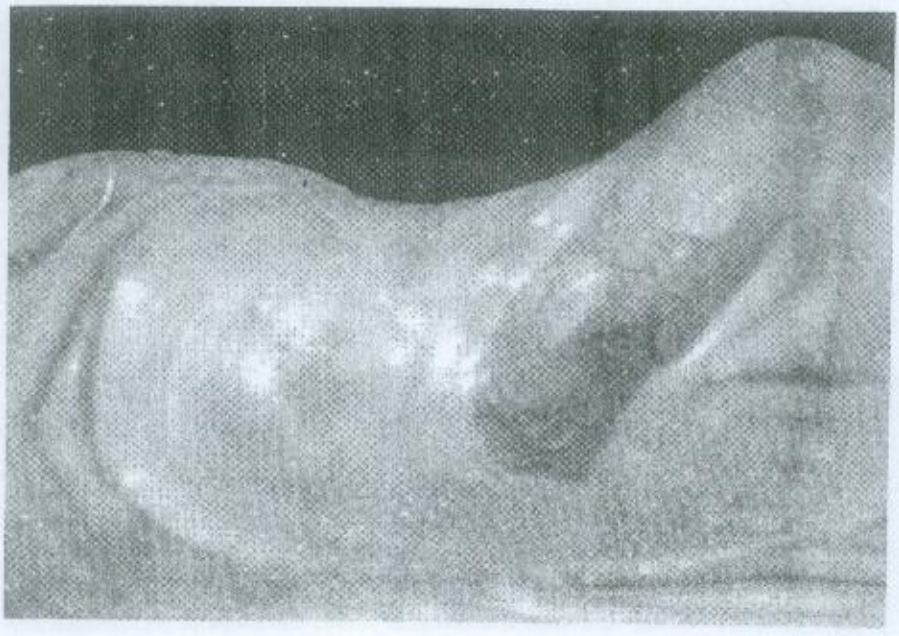

شكل (٣)

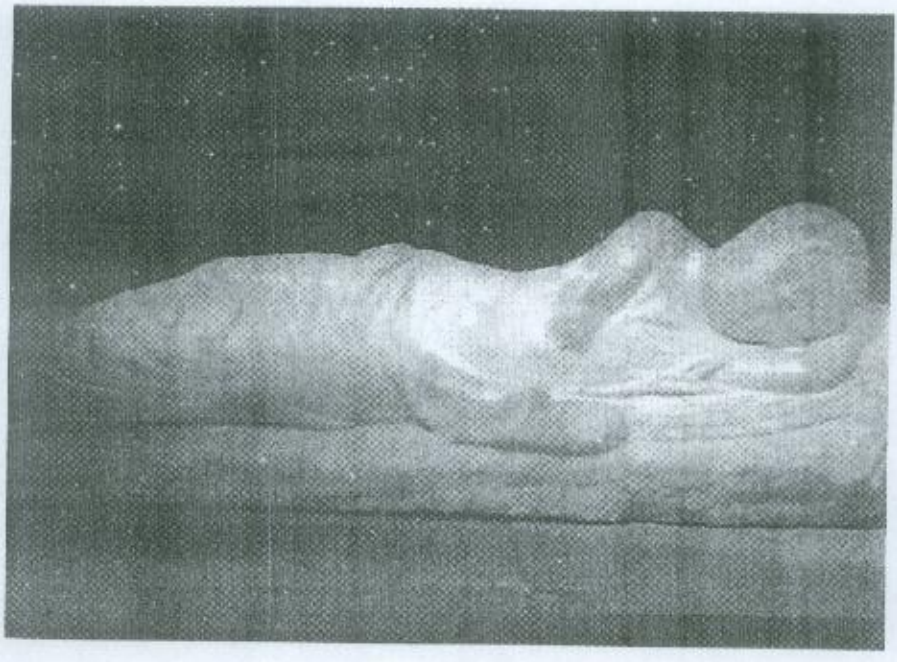

شكل (٤)

شكل (٥)

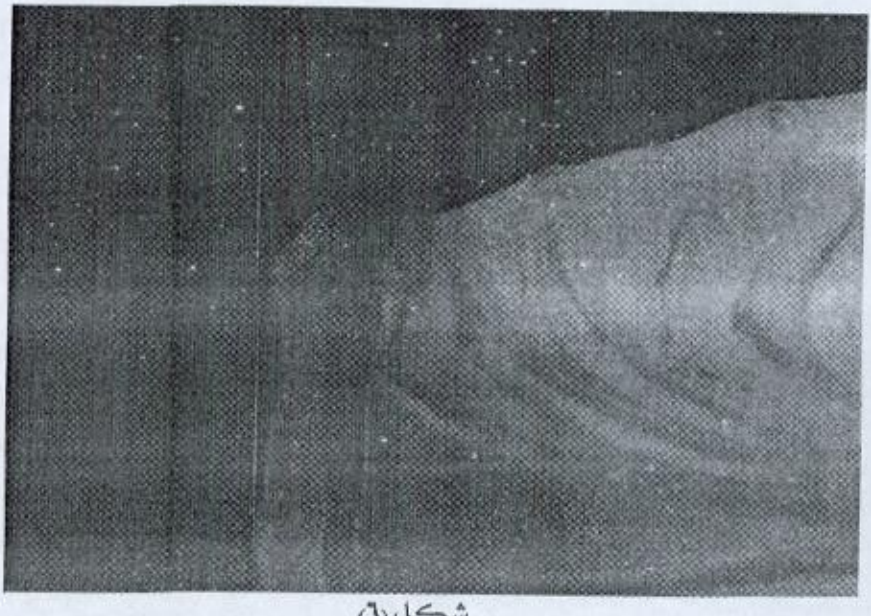

شكل (٦)

شكل (٧)

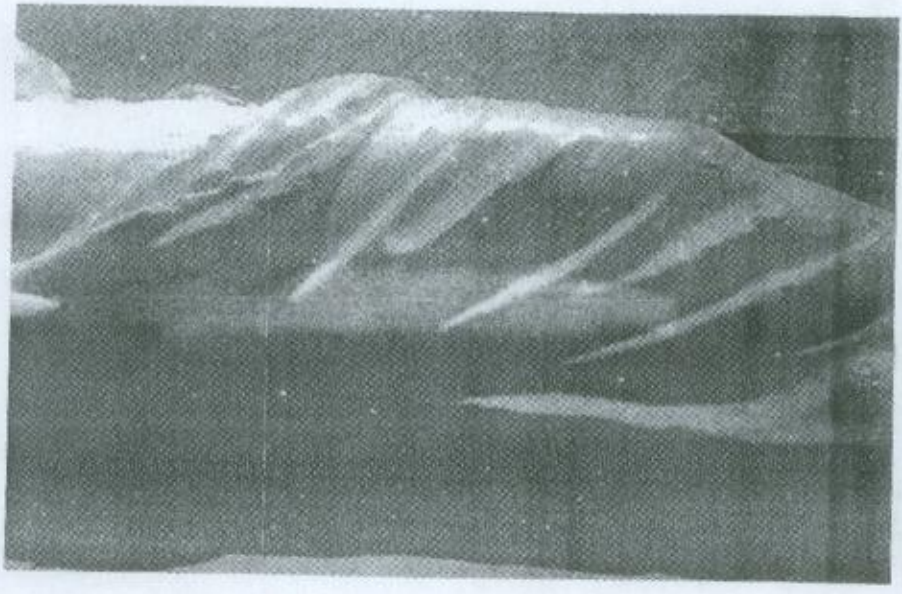

شكل(٨)

شكل (٩)

شكل (١٠)

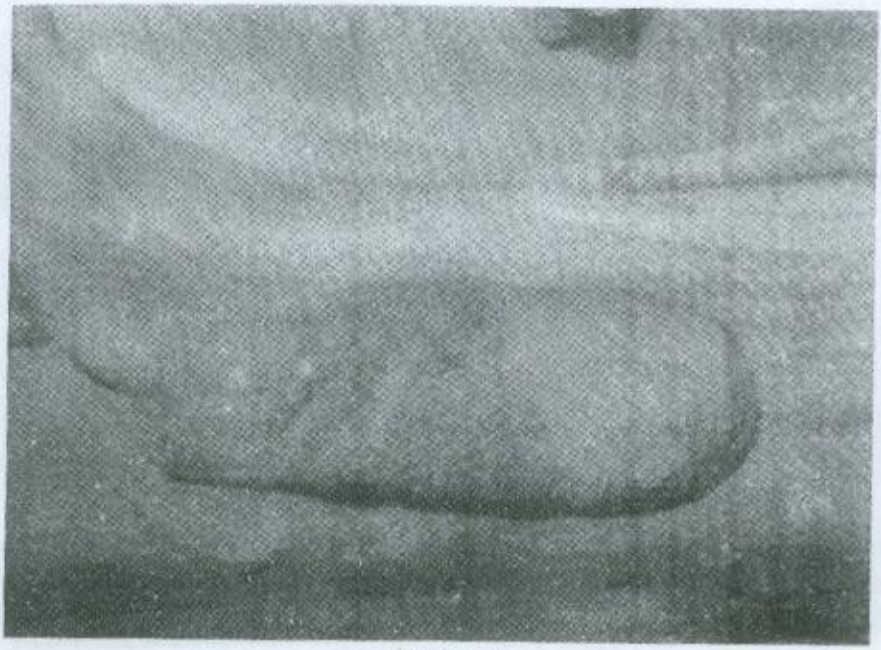

شكل (١١)

شكل (١٢)

شكل (١٣)

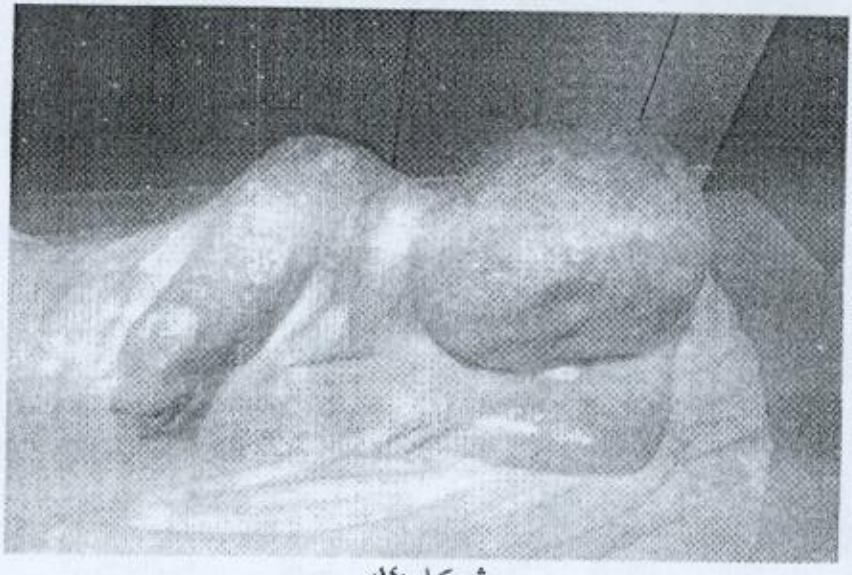

شكل (١٤)

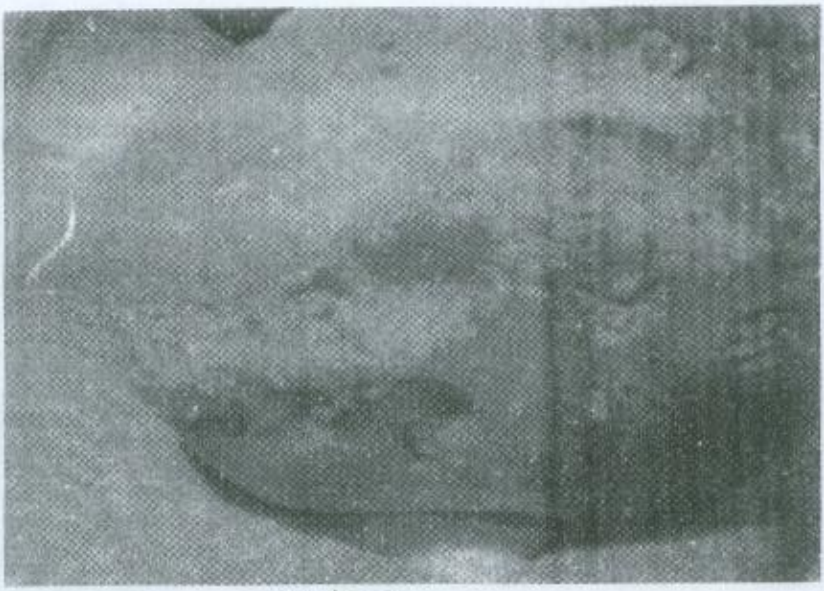

شكل (١٥)

شكل (١٦)

شكل (١٧)

شكل (١٨)

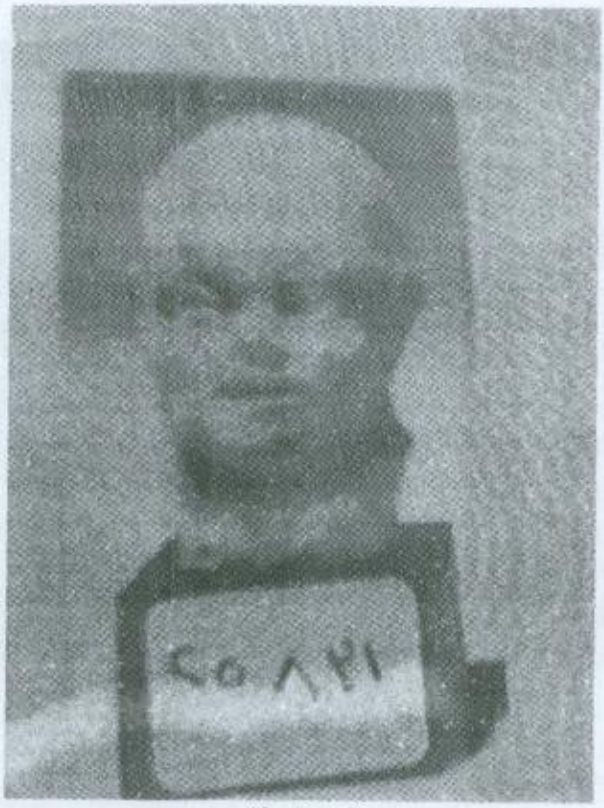

شكل (١٩)

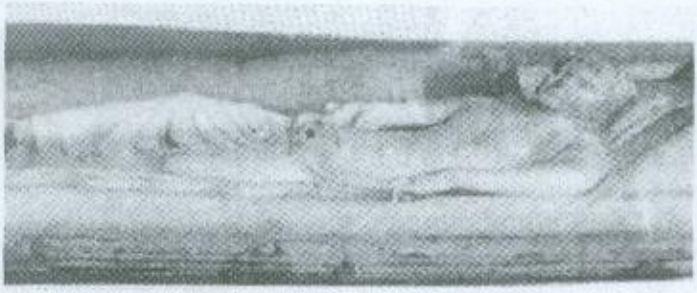

شكل (٢٠)

شكل (٢١)

شكل (٢٢)

شكل (٢٣)

شكل (٢٤)

شكل (٢٥)

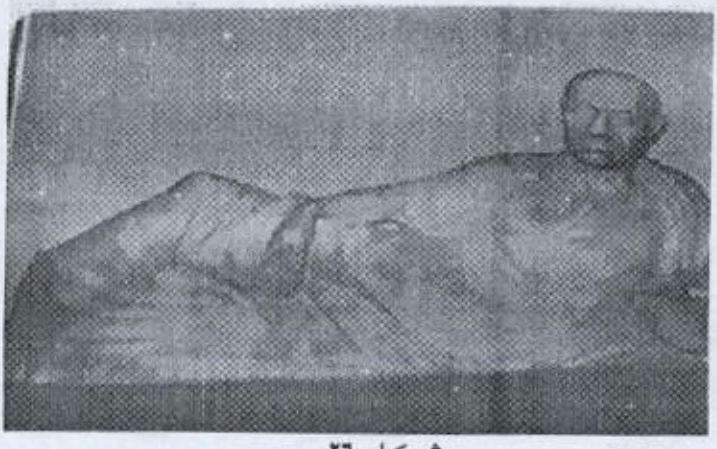

شكل (٢٦)

شكل (٢٧)

شكل (٢٨)

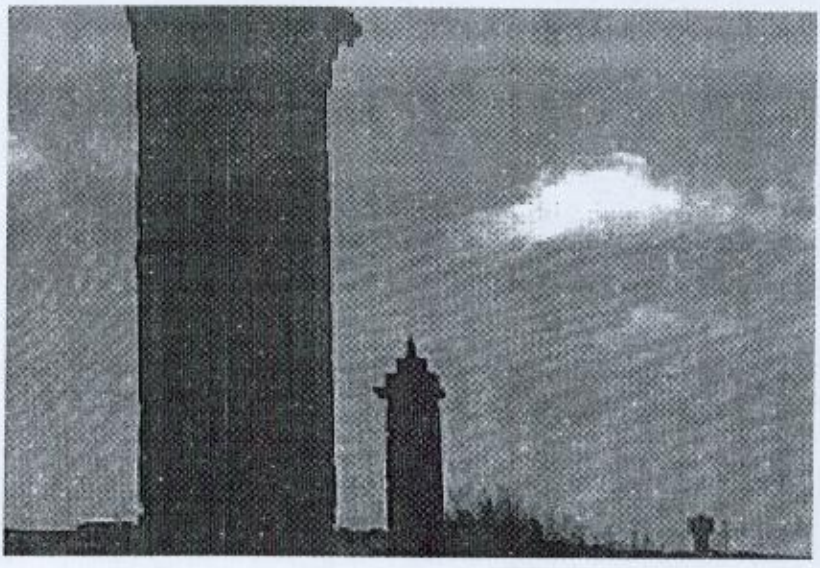

شكل (٢٩)

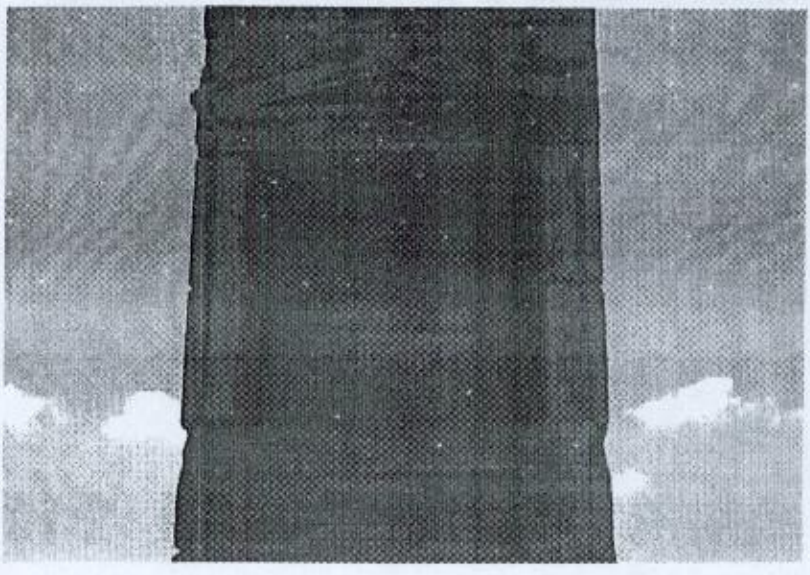

شكل (٣٠)

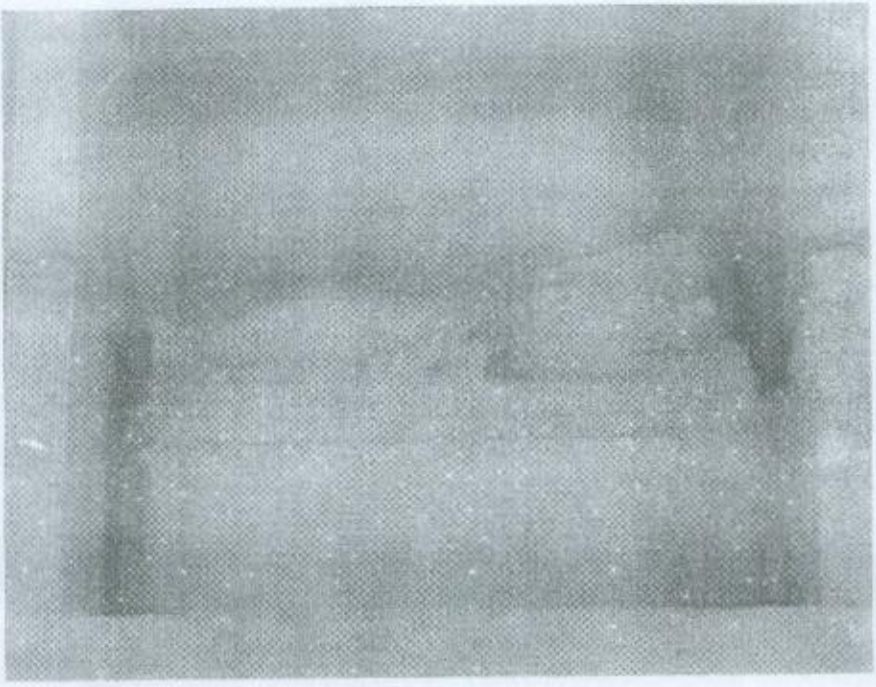

شكل (٣١)

[i] Guntran Koch & Karol Wight , Roman funerary sculpture catalogue of the collections,Malibu,1988,p.115ff.,no.43;Ebrahim Saad Ebrahim,A statuette of sleeping Eros in the Graeco-Roman museum in Alexandria;

[ii] منى عبد الغنى حجاج / تصوير الأطفال في الفن اليوناني القديم – رسالة دكتوراه – غير منشورة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية-١٩٨٧

[iii] سلوى حسين بكر / الجروتيسك في الفن اليونانى والرومانى – رسالة ماجستير – غير منشورة – كلية الآداب – جامعة طنطا – ١٩٩٢

[iv] Diana E.E.Kleiner,Roman sculpture,(Yale Univeristy,1992),p.81,pl.61.

[v] Suzan Walker, Catalogue of Roman sarcophagi in the British Museum, London,1990,p.17,pl.2(6A).

[vi] Nancy H.Ramage & Andrew Ramage, Roman Art , Cambridge,1995,p. 259,no. 10.2;p.204,no.7.39.

[vii] Guntran Koch, op.cit., p.11-13,no.4.

[viii] Strong,A.,Roman sculpture, from Augustus to Constantin,(N Y,1902);p. ; عزيزة سعيد محمود / النحت الرومانى من البدايات الأولى وحتى نهاية القرن الرابع الميلادى – ص

[ix] Toynbee,J.M.C.,The Hadrianic school , (London,1936),p.

[x] M.Collignon, Les statues Funeraires dans L'art grec , (Paris , 1911), pp.246ff.; A.H.Smith, catalogue of the sculpture in the British Museum , 2 vols, 1900-1904 , London , pp.164ff.

[xi] ابراهيم سعد ابراهيم / التوابيت في مصر خلال العصرين اليوناني والروماني – رسالة دكتوراة – غير منشورة – كلية الآداب – جامعة طنطا – ١٩٩٢ – ص ٤٩٢-٤٩٥ .

[xii] ابراهيم سعد ابراهيم / المرجع السابق – ص ٤٨٦-٤٩١ .

[xiii] ابراهيم سعد / المرجع السابق – ص ٤٩٦ – ٤٩٧

[xiv] ابراهيم سعد / المرجع السابق – ص ٤٩٨-٥٠٢ .

[xv] ابتهال محمد عبد الصمد / دراسة أثرية للمكتشفات الحديثة على خط الساحل من غرب الاسكندرية الى مرسى مطروح – رسالة ماجستير – غير منشورة – كلية الاداب – جامعة الاسكندرية – ٢٠٠٩ م – ص ١٤١ – مخطط رقم ٤٩ – صورة رقم ٧٦ .

[xvi] Toynbee, J.M.C.,Death and burial in the Roman world , (N Y ,1971),p.268.